تقييد الإسناد ودورة في التماسك النصي: قصيدة "نماذج بشرية للفقي " أنموذجاً

د. بدر بن سودان المرشدي

الملخص:

التقييد لغة ضد الإطلاق، واصطلاحًا هو نمط تركيبي في سياق محدد يفرض على بنية الجملة تماسكًا خاصًا بعلائق محددة مرتكزها ما عُرف في الموروث النحوي بالمفاعيل والمتعلقات والفضلات، فاكتفاء الفعل بمرفوعه، يعد الفعل هنا مطلقا غير مقيد بقيد من وقع عليه الفعل، أو بيان نوع الفعل أو عدده أو سبب وقوعه، أو بيان حال فاعله، أو مفعوله و أي متعلق من متعلقاته أو بيان العلاقة بين الفعل وفاعله أو مفعوله ، أو ما إلى ذلك من أنواع التقييد، وليس معنى إطلاق الفعل من هذه القيود أنه يؤدي معنى أقل مما يضيفه القيد، بل إن إطلاقه من التقييد بحيث يكتفي بمرفوعه فقط قد يزيد في المعنى ويقويه، نحو قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾(الأعلى : 5، 6). فيه زيادة في المعنى حيث العطاء شامل لكل الناس أو الشيء المعطى شاملا لكل الأشياء وكذلك المتقى منه.

ولا تخلو طبيعة الجملة العربية من التقييد بل هو أساس في تركيبها بكل أنواعها النحوية والبلاغية فهو يدخل في الجمل الصغرى والكبرى على السواء، ودخوله في الجملة ليس لإكمال فراغ أو سد نقص بقدر ما هو ضرورة وظيفية دلالية، و لإبراز هذه النواحي التركيبية والدلالية اخترت قصيدة الشاعر السعودي المرحوم محمد حسن فقي (نماذج بشرية)؛ كونها تمثل لوحة فنية تحكي فكر الشعر العربي المعاصر عامة والشعر السعودي خاصة وفي تعامله مع إيقاع البنية الداخلية للجملة بالتقديم والتأخير وأثر ذلك في تحديد بنية التماسك بالقيود التي توجه دلالة الجملة وجهة خاصة بناء على نمط كل قيد ومعناه.

المقدمة:

تناول هذا البحث تقييد الإسناد في الجملة العربية الذي أصل له العلماء القدماء في مؤلفاتهم بنظريات خاصة أفاد منها كل من جاء بعدهم وما نظرية النظم للجرجاني إلا خير دليل على ذلك تلك النظرية التي بحثت الفكر التركيبي في بنية الجملة العربية نحويًا ودلاليًا وقد نوه علماؤنا المحدثون ببحوث مستقلة بذلوا فيها جهودا مشكورة؛ لتكون منهجاً للباحثين.

وبناء على ما أصل قديمًا ونظر له حديثًا فقد آثرت أن أقدم بحثي هذا انطلاقًا من النظريات الحديثة في التماسك النصي وما تطرق إليه علم النص الحديث واتكاءً على الموروث النحوي البلاغي في دراسة تركيب الجملة الشعرية وأسميها بالجملة الشعرية، تمييزًا لها عن بنية الجملة النثرية لأن للشعر تركيبه الخاص ونمطه الفني الموسيقي الذي يحدث في بنيته الداخلية تغييرًا واختلافًا عن سائر أنواع الجمل النصية الأخرى.

واخترت قصيدة الشاعر السعودي المرحوم محمد حسن فقي (نماذج بشرية)؛ كونها تمثل لوحة فنية تحكي فكر الشعر العربي المعاصر عامة والشعر السعودي خاصة وفي تعامله مع إيقاع البنية الداخلية للجملة بالتقديم والتأخير وأثر ذلك في تحديد بنية التماسك بالقيود التي توجه دلالة الجملة وجهة خاصة بناء على نمط كل قيد ومعناه.

ولي دافع آخر في اختيار هذه القصيدة هو شموليتها في وسائل تقييد الجملة ولما تمتاز به هي في ذاتها من حيث طولها الذي بلغ اثنين وثلاثين بيتاً؛ للوقوف على مدى ما تميز به هذا الشاعر في توظيف أنواع التقييد من خلال قصيدته، وما يمكن أن يكون قد حققه من اكتشافات تركيبية نحوية أو لغوية عن طريق التعامل مع هذه الوسائل من حيث الموقف العام للنص الشعري، وبذلك تكون الفرصة متاحة أمامي؛ لأتبين مدى ما تميزت به هذه القصيدة من كيفية استخدام التقييد وانعكاس الوضع النحوي على المضمون الشعري تجربة وتعبيرًا عن هذه التجارب التي عاناها الشاعر، فجاءت مرددة صدى ما كان يعتلج في داخل الشاعر من طاقات فنية.

بعد ذلك حُلل كل مقطع من القصيدة على حدة حسبما يتفق فيه من وجود وسيلة أو أكثر من وسائل تقييد الجملة حتى لو تكررت هذه الوسيلة أو تلك في داخل المقطع؛ ليكشف لنا عن ترابط الجمل بعضها ببعض في بنية النص "وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص"(د. محمد حماسة . مجلة فصول . ج15 عدد 2 ص 126) و في نهاية كل مقطع من مقاطع القصيدة تناولت ما يسمى " بالتماسك النصي وهو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص أو فقراته ، لفظية أو معنوية وكلاهما يؤدي دوراً تفسيرياً، لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير

النص ، فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصرين في النص وعنصرا آخر يكون ضروريًا لتفسير النص"(د. عفيفي ص 106).

إن النص الآتي عبارة عن تجربة اجتماعية أَبَديّة كثيرًا ما يعانيها الناس لا سيما المبدعين النابهين و هذا ما يلاقيه الشعراء البارزون في ميدان الأدب من حاقدين يتخفون وراء النفاق والتملق وذلك ما يسبب ألم يعجز الطبيب الذي يعالج أدواء الأجسام عن علاجه. تلك هي القصيدة التي يعرض الشاعر محمد حسن فقي فيها تجربة قاسية عاناها في حياته من أمثال هؤلاء الحاقدين وقد جاءت في الديوان مؤرخة بالثامن من جمادى الآخر سنة ثلاث وثمانين و ثلاثمئة وألف من الهجرة ، ومكان نظمها مدينة جدة في المملكة العربية السعودية، والقصيدة من بحر الوافر يقول فيها: (محمد فقي ج6 ص 225).

المقطع الأول

1. نَظَـــرْتُ إِلـــى الطَبِيـــبِ يَجُـــسُّ نَبْضِـــي وَيَفْحَصُـــنِي لِيَعْـــرِفَ أَيْـــنَ دَائِـــي

2. أَمِـــرَّ عِلَـــيَّ مِسْـــمِاعًا دِقِيقـــاً وَعَلّقَـــهُ لِيِكْتُـــبَ لِـــي دَوائِـــي

3. وَتَمْـــتَمَ فَاسْـــتَمَتُّ فَقَـــالَ مَهْـــلاً فَلَـــمْ أَعْتُـــرْ عَلَـــى الـــدَاءِ العِيَـــاءِ

4. فَإِنَّـــكَ – لَـــوْ عَلِمْـــتَ – أَصَـــحُّ جسـماً وأقـــوى مِـــنْ طَبيبـــكَ فِـــي البِنَـــاءِ

5. فَحَصْـــتُكَ فَحْـــصَ مُكْتَنِـــهٍ خَبِيـــرٍ فَلَـــمْ أرَ مَـــا يَـــدُلُ عَلَـــى الـــبَلاءِ

6. وَلَسْـــتُ أَظُـــنُ أَنّ الطِـــبَ يُشْـــفِي بَـــلاءَكَ أو يُشَـــارِكَ فِـــي الشَـــقَاءِ

7. فَقُـــلْ لِـــي مَـــا تُحِـــسُّ فَـــرُبَ دَاءٍ خَفِـــيٍ يَسْـــتَبِينُ مِـــنَ الخَفَـــاءِ

8. وَلا تَكْتُمْـــهُ – عَـــنْ حَـــرَجٍ – فَـــإِنِّي أَخَـــافُ عَلَيْـــكَ مِـــنْ بَـــرْحِ العَنَـــاءِ

9. فَقَـــدْ يَخْشَـــى سِـــقَامُكَ مِـــنْ فُنُـــونِي كَمَـــا تَخْشَـــى الـــذِئَابُ مِـــنَ الرُعَـــاءِ

10. طَوَيْـــتَ بِنَفْسِـــكَ الآلامَ حَتـــى تَكَـــادُ تَقُـــودُ نَفْسُـــكَ للفَنَـــاءِ

11. إذا اسْتَشْـــرَتْ فَمَـــا لَـــكَ مِـــنْ عِـــلاجٍ وَمَـــا لِـــي فِـــي حَياتِـــكَ مِـــنْ رَجَـــاءِ

12. كِلَانَـــا يَـــائِسٌ مِمـــا يُرجِّـــي إِذَا لَـــمْ نَطَـــوِ أَسْـــبَابَ الحَيَـــاءِ

استهل الشاعر المقطع الأول من القصيدة بالجملة الفعلية (نظرت إلى الطبيب) والفعل الماضي (نظر) الدال على تحقق الحدث وانتهائه. ثم جاء الجار والمجرور (إلى الطبيب) الذي حل محل المفعول به لأنه بمعنى (رأيت الطبيب) وأثر حرف الجر في نقل المعنى من المفعول الصريح إلى المفعول المتجاوز عنه بحرف الجر.

أما التقييد في هذا البيت فقد جاء من جملة الحال الفعلية (يجس نبضي) وصاحبه الطبيب.

إن تداخل التركيب وتقاطعه (يجس) حالاً ومفعوله (نبضي) وهذا يسمى إدخال بنية في بنية بنية الحال ارتبطت بالأولى بوصفها حالاً وأسندت إلى مفعول جديد (نبضي) وهذا البناء قمة التركيب والتداخل:

جملة فعلية ⟵ حال (جملة فعلية) ⟵ قيد

نظرت يجس نبضي

وفي عجز البيت جملة فعلية معطوفة على جملة الحال وهي (يفحصني) في محل نصب وبذلك تكون تقييدًا بالمفعول به وهو (ياء المتكلم) في (يفحصني)، أما بنية التركيب التعليلي (ليعرف) حلت محل الحال في الجملة الأولى:

جملة فعلية ⟵ تعليل (سبب الفحص) ⟵⟵جملة اسمية

يفحصني ليعرف أين دائي

انتقال التركيب من جملة فعلية إلى جملة تعليلية توسطت بينها وأسست تلك البنية التعليلية بنية جديدة، هي الجملة الاسمية التي هي قيد للتعليل.

و استخدم الشاعر (أين) في آخر البيت لا على أنها أداة استفهام ، ولا على أنها ظرف مكان يدل على مكان حدوث الفعل (يعرف) بل على أنها بمعنى (مكان الداء) فهي إذن مفعول به.

أما في البيت الثاني فقد جاء التقييد عن طريق المفعول به الثاني (مسماعًا) إذ (عليَّ) شبه جمله في معنى المفعول الأول وهي الأهم في القيد وبعدها جملة (علقه) تصور الحدث بعد أن أمر المسماع لأن الهاء مفعول به. أما الجملة الأخيرة (ليكتب) فهي جملة تعليلية.

أما جملة (قال) في البيت الثالث فإنها تنصب مفعولًا به جملة وهو مقول القول (مهلا) وهو مفعول مطلق محذوف الفعل وتقديره: (تمهل مهلا) فتكون جملة (قال) مقيدة بالمفعول المطلق (مهلا) توكيداً لعامله، أما في البيت الرابع الجملة المعترضة (لو علمت) في حد ذاتها بنية تركيبية علائقية مهمة إذ بحذف المفعولين الخاصين بعلمت فائدة نحوية وبلاغية ووظيفية دلالية وعليه فإن البناء التماسكي هنا هو بحذف القيد (المفعولين) من أصل الجملة حذفاً متعمداً أعطت الجملة مساحة أكثر في الدلالة. ثم جاء التقييد أيضا عن طريق التمييز (جسمًا). بعد التفضيل موضحًا النسبة بين المبتدأ والخبر.

وفي البيت الخامس قيدت جملة (فحصتك ...) بالمفعول به (الكاف) و المفعول المطلق المبين للنوع وهو (فحص مكتنه خبير).

وفي الشطر الثاني جملة (لم أر...) الفعل أرى وهي رؤية بصرية قد تعدى إلى مفعول واحد وهو الاسم الموصول (ما) وبذلك قيّد الجملة بالمفعول به.

وفي البيت السادس الفعل (يشفي) الواقع في نطاق المصدر المؤول قد نصب مفعولا به (بلاءك) فكان التقييد بالمفعول به مبينًا أن الشفاء منصبًا على البلاء دون سواه.

وفي البيت الذي يليه جاءت الجملة الفعلية (قل ..) مقول القول أي المفعول به للفعل (قال) وهو (ما تحس) وهي جملة استفهامية مكونة من مبتدأ (ما) والخبر (جملة فعلية (تحس) فيكون التقييد بالمفعول به، وفي الشطر الثاني جملة (رب داء يستبين) جملة اسمية مكونة من المبتدأ (داء) المرفوع محلًا والمجرور لفظًا بحرف الجر (رب) حيث جاء الخبر جملة فعلية (يستبين) ، والتقييد بالحال حيث جاء شبه الجملة (من الخفاء) في محل نصب حال من الضمير المستتر في الفعل (يستبين).

أما في البيت الثامن من هذا المقطع فقد جاء التقييد في الجملة الفعلية المسبوقة بالنهي (لا تكتمه) عن طريق المفعول به (الهاء) . ثم جاء التقييد الثاني للجملة نفسها وهو الحال (عن حرج) فهو تقييد بالحال حيث جاء الحال شبه جملة ، وصاحب الحال هو الضمير المستتر في الفعل (تكتم) أي (أنت) أما جملة (فإني أخاف ...) ياء المتكلم اسم (إن) وجملة (أخاف) خبرها.

وفي البيت العاشر من هذا المقطع جملة (طويت ...) ورد التقييد بالمفعول به (الآلام) وجاءت الجملة الثانية (تكاد تقود ...) مقيدةً بالمفعول به (نفسك).

أما البيت الحادي عشر فقد جاءت جملة إذا اسْتَشْرت أي انتشرت الآلام وهي بنية الشرط الماضي وجوابه فمالك من علاج بنية النفي بأداة النفي (ما) التي جاءت بقيد الإنكار (من علاج) وجملة النفي هنا هي جملة (ما)العاملة عمل ليس (مالك من علاج أي ليس لك علاج) وعلاج خبر (ما) مجرورو لفظاً ومنصوب محلا. وفي عجز البيت جملة (وما لي في حياتك من رجاء) إحالة بالعطف المنفي على نفي متقدم لدلالة النكران التام وعدم الرجاء في البرء من الداء.

و في البيت الأخير من هذا المقطع جملة (كلانا يائس مما يرجي) القيد هنا بالمفعول به المحذوف تقديره: (يرجيه) أما في عجز البيت جملة الشرط(إذا لم ...) جوابها محذوف دل عليه ما سبق والتقدير: (إذ لم نطو أسباب الحياء فكلانا ...) فكلمة (أسباب) تقييد المفعول به للفعل (نطو ...).

والمتأمل في أبيات هذا المقطع الذي استغرق اثني عشر بيتاً يتضح له أن الشاعر ربط أجزاءه وشد أواصره عن طريق التماسك النصي اللفظي والمعنوي على المستوى الرأسي والأفقي فنجد علاقة التماسك المعنوي متمثلة في علاقة الإسناد وقد نوع في هذه العلاقة بين الجمل الاسمية والفعلية، من أمثلة الجملة الاسمية: (رب داء يستبين، كلانا يائس ...الخ).

ومن أمثلة الإسناد في الجمل الفعلية : (نظرت ، تمتم ، استمت ، طويت ، أفاق ...الخ). نجد المقطع قد غلبت عليه الجمل الفعلية الدالة على الحركة والأحداث والتفاعل داخل النص وهذا ديدن الشاعر يستهل كل مقطع بالجمل الفعلية.

ومن العلاقات أيضا علاقة الوصفية وقد تولدت من علاقة الإسناد ومن أمثلتها: الطبيب يجس نبضي، مسماعا دقيقا ، الداء العياء ...الخ).

أما التماسك الرأسي فمن أهم الوسائل التي أسهمت فيه هي الإحالة عن طريق الضمائر البارزة والمستترة ومنها : (نظرت ، يجس ، أمرّ ، تمتم ، استمت، فحصتك ، أخاف ، طويت الخ).

ومن هذه الإحالات الإحالة التكرارية وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ لغرض التأكيد كما في قول الشاعر: (يفحصني، فحصتك، فحص)، (فلم) في البيت الثالث والخامس، (إذا لم، فمالك، ومالي) في البيت ما قبل الأخير.

و الإحالة إلى سابق عن طريق الربط بحرف العطف الواو الذي يفيد مطلق الجمع و التي سيطرت على المقطع ومن أمثلتها : (ويفحصني ، وأقوى ، ولست، ولا تكتمه ، وما لي ...الخ). وقد أفاد العطف بالواو الجمع بين كل هذه الأحداث دفعة واحدة.

وكذلك الربط عن طريق التخيير بحرف العطف (أو) كما في قوله : (أو يشارك في الشقاء).

المقطع الثاني

13. فَقُلْتُ لَهُ : فَدَيْتُكَ مَا أَمَامِي مِنَ الحَدَثَانِ شَرٌ مِنْ وَرَائِي

14. أَبَحْتُكَ أَنْ تَفُكَ غِلاَفَ نَفْسِي لَعَلَّكَ لا تُشَدِّدْ فِي المِرَاءِ

15. فَإِنَّكَ وَاجِدٌ جُرْحاً بَلِغَياً يَكَادُ يَجُفُ مِنْ نَزْفِ الدِمَاءِ

16. نَأَيْتُ بِهِ عَنِ الإِشْفَاقِ كِبْرًا وَصُنْتُ قَذَاهُ عَنْ دُنْيَا الرِّثَاءِ

17. تُعمِّقُهُ أَصَابِعُ خَيْرِ صَحْبِي وَتُومِئُ لِي بِشَارَاتِ الوَفَاءِ

18. تَعِبْتُ فَلَسْتُ أَعْرِفُ مَنْ أَتَانِي بِوَجْهِ الحُبِ أَوَ وَجْهِ العِدَاءِ

19. قَدِ اخْتَلَطَا عَلَيَّ فَكُلُّ وَجْهٍ يُطَالِعُنِي تَقَنَّعَ بِالرِّيَاءِ

في البيت الأول جاءت جملة (فديتك) في محل نصب مفعول به للفعل (قال) فهو تقييد بالمفعول به حيث حلت الجملة محل المفعول به المفرد وجملة (فديتك) نفسها تم تقييدها بالمفعول به وهو (الكاف)؛ ليبين أن الفداء منصب على صاحبه دون غيره من سائر الناس.

وفي البيت الذي يليه وردت الجملة الفعلية (أبحتك ...) الفعل فيها (أباح) نصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر على تضمين الفعل (أباح) معنى الفعل (وهب) أو (أعطى) المفعول الأول هو (الكاف) في (أبحتك) والثاني هو المصدر المؤول من أن والفعل (تفك) فيكون التقييد بالمفعول به وغلاف مفعول به لتفك.

أما البيت الخامس عشر فقد جاءت الجملة المنسوخة (إنك واجد) مقيدة بالمفعول به (جرحًا) فهو مفعول به لاسم الفاعل (واجد) الذي عمل فعله لتحقق شروط عمله. والتقييد بالحال في جملة (يكاد ...) في محل نصب حال من (جرحًا) الذي خصص بالوصف.

أما البيت السادس عشر فقد ذكر فيه الشاعر أنه أخفى جرحه حتى لا يكون محلًا للإشفاق وذلك صونًا لنفسه عن أن يكون محلاً للتعاطف وكذلك حماه من أن يرثيه الناس حفاظًا عليه بالرغم مما يلحقه من ضرر بسببه.

الجملة الأولى (نأيت ... كبرًا) فعلية اعتراها التقييد بالمفعول لأجله (كبرًا) مبينًا سبب علة النأي، أما في عجز البيت جملة (وصنت ...) التقييد بالمفعول به (قذاه) ، و بالحال الذي هو شبه جملة (عن دنيا الرثاء) وصاحب الحال هو (قذاه).

وفي البيت السابع عشر فإن الضمير في (تعمقه) يعود على جرح الشاعر في البيت الأسبق ومع ذلك فإننا سنتعامل مع الجملة على أنها مستأنفة. فهي إذن جملة جاء التقييد بالمفعول به وهو (الهاء).

أما البيت ما قبل الأخير من هذا المقطع فقد جاءت جملة (فلست أعرف من...) مكونة من ليس واسمها (تاء المتكلم) وخبرها جملة (أعرف...) وبناء عليه فإن جملة (لست ...) جاء الخبر جملة فعلية (أعرف) وهذه الجملة بدورها قيدت بواسطة المفعول به (من) الموصولة أما (أتاني) فهي جملة الصلة، عن طريق التقييد بالمفعول به وهو (ياء المتكلم).

وهكذا فقد عمل الشاعر على التماسك النصي من خلال العلاقات التي تآزرت لتؤدي الدور الفعال في هذا المقطع ومنها علاقة الإسناد في الجمل الفعلية مثل: (فديتك، أبحتك ، نأيت به ، صنت ، قذاه ...الخ).

ثم انبثقت من علاقة الإسناد هذه علاقات أخرى جانبية مثل علاقة الظرفية كما في قوله : (ما أمامي)، (من ورائي)، وعلاقة الإضافة كإضافة الضمير في قوله:(صحبي ، نفسي...الخ).

ومن علاقات التماسك النصي في الأبيات الربط عن طريق النواسخ الحرفية والفعلية كما في قوله : (لعلك ، فإنك ، يكاد ، لست). وقد أفادت هذه النواسخ بمدلولاتها المعجمية دوراً فعالاً في إثراء المعنى الدائر في القصيدة .

ومن علاقات التماسك في هذا المقطع الربط بحروف العطف المختلفة الدالة على مطلق الجمع و على التخيير كما في قوله : (وصنت ، وتومئ ، أو وجه العداء) وقد عمل العطف على تماسك المعاني والأفكار المرادة في هذا المقطع.

المقطع الثالث

20. وَقَفَتُ عَلَى الشَفِيرِ أَرُدُّ رِجْلِي مَخَافَةَ أَنْ تَزِلَّ إِلى العَفَاءِ

21. وَمَا بَالِي أَخَافُ وَكُلُّ حَظِّي مِنَ الدُنْيَا هَبَاءً فِي هَبَاءِ

22. إِذَا مَا الصَخْرُ أَدْمَانِي بِأَرْضِي فَهَلْ أَلْقَاهُ يُدْمِي فِي السّمَاءِ؟

23. وَإِمَّا عُشْتُ فِي الدُنْيَا شَقِيّاً فَفِيمَ تَطَلُّبِي طُوْلَ البَقَاءِ؟

24. وإِنْ أَنِا لَمْ أَجِدْ خِلاً وَفِيّاً فَكَيْفَ أَكُونُ مِنْ أَهْلِ الوَفَاءِ؟

25. وَكَيْفَ يَقُودُنِي فِي الدَّرْبِ أَعْمِى وَأَطْمَعُ – بَعْدَ ذَلِكَ – فِي النّجَاءِ؟

26. كِلَانَا لا يَرَى إلاّ ظَلَاماً وَيَلْمَسُ غَيْرَ أَجْوَازَ الفَضَاءِ

بدأ الشاعر هذا المقطع من القصيدة كسابقيه بالفعل الماضي الدال على انتهاء الحدث (وقفت على الشفير) و هذه الجملة قيدت بالحال، لأن جملة (أرد رجلي) في محل نصب حال، وصاحب الحال هو (تاء) المتكلم في قوله: (وقفت)، وجملة الحال قيدت بالمفعول به (رجلي) و المفعول لأجله (مخافة)؛ ليبين علة رد رجله خوفًا من أن تزل إلى العفاء.

أما البيت الذي يليه فالجملة الأولى (ما بالي) جملة اسمية المبتدأ هو (ما) وخبره (بالي) أما جملة (أخاف و كل حظي) فهي في محل نصب حال من ياء المتكلم في (بالي) إذن الجملة الأولى قيدت بالحال.

أما البيت الثاني والعشرون مكون أساسًا من جملة شرطية، وأداة الشرط (إذا) وجملة الشرط : أدماني الصخر أدماني ... وجملة الجواب (فهل ألقاه...) وهي جملة طلبيه كما هو واضح؛ ولذلك وجب اقترانها بالفاء و جملة الشرط قيدت بالحال في الجار والمجرور(بأرضي) وكذلك

التقييد بالمفعول به في قوله: (أدماني) وهو ياء المتكلم، و جملة الجواب قيدت بالمفعول به وهو (الهاء) في قوله: (ألقاه)، وكذلك التقييد بالحال في جملة (يدمي في السماء) فهي حال من الضمير (الهاء) في ألقاه .

وفي البيت الثالث والعشرين الجملة الشرطية (عشت في الدنيا ...) هي جملة الشرط، وجملة (فيم تطلبي ...) جملة الجواب قيدت بالحال (شقيًا) حال من الضمير في عشت ، وجملة الجواب قيدت بالمفعول به (طول) فهو مفعول به للمصدر الذي وقع مبتدأ متأخر وهو (تطلبي). من الواضح سيطرة الجملة الشرطية على البيت الرابع والعشرين فجملة الشرط تستغرق الشطر الأول (إن أنا لم أجد خلاً وفيًا) وجملة الجواب تستغرق الشطر الثاني (فكيف أكون من أهل الوفاء).

جملة الشرط تقديرها : (إن لم أجد خلا وفيا لم أجد خلا وفيا) فتكون الجملة الموجودة أمامنا قد قيدت بالمفعول به (خلا).

أما البيت قبل الأخير فقد جاءت جملة (يقودني أعمى) مقيدةً بالمفعول به وهو ياء المتكلم في (يقودني) وبالحال (كيف). والجملة الثانية (أطمع بعد ذلك في النجاء) بالمفعول فيه (بعد ذلك)، وبالمفعول به في النجاء من حيث المعنى (أحب النجاء).

ويختم هذا المقطع بالجملة الاسمية المبتدأ (كلانا) وجملة الخبر (لا يرى إلا ظلاما) التقييد بالمفعول به (ظلامًا) والجملة الثانية في الشطر الثاني (ويلمس غير ...) الأصل فيها (ولا يلمس) وحذفت أداة النفي لدلالة النفي في الجملة السابقة عليها وهذه الجملة معطوفة على جملة الخبر في الشطر الأول فيكون حينئذ قيدًا بالمفعول به (غير) .

وقد عمل الشاعر في هذا المقطع على التماسك النصي من خلال العلاقات التي تآزرت لتؤدي دورها الفعال في النص منها علاقة الإسناد في الجمل الاسمية والفعلية : (وقفت ، هل ألقاه ، إن أنا لم أجد ، كيف أكون ، من أهل الوفاء ، كيف يقودني ، أطمع ، يلمس ...الخ).

ومن العلاقات التي أسهمت في التماسك الإحالة عن طريق الضمائر البارزة والمستترة كما في قوله : وقفت ، رجلي، أخاف ، أنا ، يقودني ، كلانا ، يلمس ...الخ).

وكذلك الربط بحرف العطف الواو الذي يفيد مطلق الجمع ودلالة أن الأحداث وقعت مجتمعة كما في قوله : (وما بالي، وأطمع ، ويلمس). ومن الملاحظ على هذا المقطع كثرة أسلوب الاستفهام الذي استغرق أربعة أبيات فهو من الأساليب التي لجأ إليه الشاعر؛ ليعبر عما يدور في أعماق نفسه من المعاناة النفسية والاجتماعية التي يجدها من حاسديه، فقد كان للاستفهام أثره الفاعل

في هذه الأبيات لما له من تأثير في مواطن النفس، ويُعد من أكثر الأساليب انفعالاً واستمالة لإقناع الآخرين، ويعمل على تحريك العاطفة وإثارة الوجدان وجذب لانتباه السامع وإشراكه في التفكير؛ ليصل بنفسه إلى الجواب، وأحيانا يخرج الاستفهام إلى معاني الإنكار والتقرير والتعجب وذلك بطرح السؤال المفتوح اللامتناهي الذي لا يبحث سائله عن إجابة وإنما يقُرر به حالة ويصف به أمراً عجيباً.

المقطع الرابع

27. سَـــأُثْبِتُ لِلْعِـــوَاءِ بِـــأَنَّ قَلْبـــاً جَرِيْئـــاً مَـــا يَخَـــافُ مِـــنَ العِـــوَاءِ

28. وَأَيْـــنَ المَجْـــدُ قَـــدْ حَفَلَـــتْ يَـــدَاهُ بِخَيْـــرِ النَّـــاسِ مِـــنْ هَـــذَا الهُـــرَاء

29. لَقَـــدْ حَسَـــدُوا الـــذَّكِيَّ لِغَيْـــرِ ذَنْـــبٍ كَمَـــا لامُـــوا الغَبِـــيَّ عَلَـــى الغَبَـــاءِ

30. فَمَـــا يُنْجِيْـــكَ فَقْـــرٌ مِـــنْ أَذَاهُـــمْ وَلا يُنْجِيْـــكَ أَنَّـــكَ ذُو ثَـــرَاءِ

استهل الشاعر المقطع الرابع بالفعل المضارع المسبوق بالسين خلافًا للمقاطع السابقة التي استهلها بالأفعال الماضية وكأنه يتحدث عن أحداث مرت به وانتهت، ولأنه استهله بعد الأسئلة المفتوحة اللامتناهية فأحب أن ينتقل بالجو النفسي للقصيدة إلى إثبات ذاته بعد الحيرة التي مثلتها تلك الأسئلة. أما في هذا المقطع الأخير من القصيدة جاء بالفعل المضارع؛ ليدل على التجدد والاستمرارية ويبين أنه باقٍ لا يهزه عواء الحاسدين من الناس. أما عن تقييد الإسناد فجاءت جملة (سأثبت ...) مقيدة بالمفعول به المصدر المؤول من أن واسمها وخبرها لأن الباء الجارة هنا يمكن حذفها ويتعدى الفعل(سأثبت بنفسه) ولعل الداعي إلى الإتيان بالباء الجارة هنا هو استقامة الوزن.

أما البيت الثامن والعشرون فقد جاءت الجملة الاسمية (المجد) مبتدأ مؤخر، و (أين) خبر مقدم والجملة الثانية (قد حفلت يداه ..) جملة حالية من (المجد) قيدت بالحال.

وفي البيت الذي يليه ورد في صدر البيت جملة (حسدوا الذكيّ) جملة فعلية مقيدةً بالمفعول به (الذكيّ)، وفي عجز البيت جملة (لاموا ...) وهي مصدر مؤول من (ما) والفعل، والتقدير: (كلومهم الغبي ...) وبذلك يكون شبه جملة حال و كذلك التقييد بالمفعول به (الغبي) حيث قيد وقوع اللوم على الغبي.

ويختم هذا المقطع بجملة (ما ينجيك ...) فعلية قيدت بالمفعول به (الكاف) في ينجيك، والجملة الثانية (لا ينجيك ...) مثل الأولى تماماَ.

وقد عمل الشاعر في هذا المقطع وتماسكه بكثير من علاقات التماسك متمثلة في الإسناد كقوله: (سأثبت ، حسدوا، ينجيك ، يخاف ، أين المجد ...الخ) وعلاقة الوصفية كقوله: (قلبًا جريئًا).

ومن العلاقات التي عملت على التماسك النصي في هذا المقطع الإحالة عن طريق الضمائر البارزة والمستترة نحو قوله: (سأثبت ، يخاف ، حسدوا ، ينجيك).

وكذلك الربط عن طريق حرف العطف الواو الدال على مطلق الجمع ليدل على أن هذه الأحداث وقعت مجتمعة كما في قوله : (ولا ينجيك) ومن علاقات التماسك في هذا المقطع التماسك عن طريق الإحالة التكرارية كما في قوله : (الغبي ، الغباء، فما ينجيك ، ولا ينجيك).

31. حَمَتْـــكَ فَطَانَـــةٌ وَحَمَـــاكَ عِلْـــمٌ بِمَـــا تَلْقَـــاهُ مِـــنْ كَيْـــدِ العِـــدَاءِ

32. فَمَـــنْ يَحْمِيْـــكَ مِـــنْ كَيْـــدٍ خَفِـــيٍّ تَقَنّـــــعَ بِـــــالمَوَدَةِ وَالإِخَـــــاءِ

يختم الشاعر هذه القصيدة بهاذين البيتين الجملة الأولى (حمتك فطانة) فعلية قيدت بالمفعول به (الكاف)، و الجملة الثانية (حماك علم) مثلها تمامًا.

وفي الشطر الثاني (بما تلقاه ...) شبه جملة في محل نصب حال من الكاف في (حماك) لأن (ما) اسم موصول في محل جر بحر الجر الباء وجملة (تلقاه) صلة الموصول جاء تقييدها عن طريق المفعول به وهو (الهاء).أما البيت الأخير في هذه القصيدة فقد جاءت جملة (من يحميك) جملة اسمية، اسم الاستفهام (من) مبتدأ وجملة (يحميك) خبر و التقييد بالمفعول به (الكاف).

وقد ظهر التماسك النصي في هذين البيتين كما في المقاطع السابقة عن طريق الإسناد في قوله :(حمتك ، تلقاه ، يحميك ، تقنع ...)، وعلاقة الوصفية في قوله : (كيد خفي)، ونلاحظ في هذين البيتين أن حرف العطف قد ظهر في صدر البيت الأول (وحماك) وفي عجز البيت الثاني (والإخاء)؛ ليربط بين المعاني والأفكار المرادة في النص.

ثم ظهر التماسك النصي عن طريق الإحالة التكرارية التي استغرقت متسعًا كبيرًا كما في قوله : (حمتك، حماك ، يحميك ، من كيد العداء ، من كيد خفي).

وبهذه العلاقات أراد الشاعر أن يربط بين أجزاء القصيدة ويلم خيوطها خدمة للمعنى العام فيها وهي تجربته مع الحاسدين؛ ليحكي تجربته القديمة التي لا يبرح العاجزون عن حسد المجيدين والكيد لهم رغم ما يظهرون له من تزلف ونفاق ورياء أمامه.

الخاتمة

لقد حاول هذا البحث أن يدرس تقييد الإسناد ودوره في التماسك النصي عند الشاعر من خلال قصيدته (نماذج بشرية) والمعنى الذي لأجله بنى الشاعر جملته هذا البناء من خلال تحليل القصيدة للشاعر، ومدى توافقها مع قواعد اللغة وضوابطها وحدودها التي حددها النحاة لها.

وقد خرجت من بحثي هذا بعدة نتائج اتضحت لي من خلال سير البحث، منها:

أولاً: لوحظ أن الشعراء المحدثين ومنهم محمد حسن فقي ما زالوا مرتبطين بظواهر اللغة العربية التي هي وعاء وجدانهم وفكرهم ، وأحسب أن ذلك إنما جاء بسبب اهتمام علمائنا قدماء ومحدثين بدراسة هذه الظواهر آخذين في اعتبارهم الاعتماد على أجود النصوص القديمة مستلهمين منها أدق القواعد التي ساروا عليها مما مكن المبدعين من التمسك بها وإحيائها والإصرار عليها.

ثانيًا: كثرة استخدام الشاعر للجمل الفعلية الدالة على التفاعل والحركة داخل النص واستخدامه الأسلوب الحواري بينه وبين حاسديه.

ثالثاً: تقييد الإسناد والتماسك النصي في هذه القصيدة جاء لأجل خدمة المعنى، وقيّد في حدود ما سمحت به قواعد النحو العربي.

ومما يوصي به هذا البحث دراسة ظواهر اللغة العربية من خلال النصوص الحية تؤدي دورها ، وأنها لم تعد قديمة بل هي ظواهر حية قادرة على استيعاب كل ما هو جديد في عالم الفكر والوجدان.

وفي آخر هذا البحث نستطيع أن نقول أن الشاعر محمد حسن فقي برع في توظيف التراكيب اللغوية التي أدت إلى تماسك النص الشعري وفقا للمعنى الذي أراده والغرض الأساسي الذي ساق من أجله هذه القصيدة وهي تجربته الاجتماعية مع ما يعانيه من حقد الحاقدين.

المصادر و المراجع

1. **الأعمال الكاملة،** للشاعر محمد حسن فقي الطبعة الأولى . الدار السعودية للنشر . المملكة العربية السعودية 1413هـ ـ 1992م.
2. **بناء الجملة العربية** د.محمد حماسة عبد اللطيف طبعة دار غريب.القاهرة عام 2003م.
3. **شرح التصريح على التوضيح في النحو** ، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، تحقيق محمد باسل عيون السُّود، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان عام1421هـ– 2000م.
4. **شرح الكافية** لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي تحقيق : أحمد السيد أحمد كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، المكتبة التوفيقية.
5. **القواعد العربية** من كتابي القطر و الشذور لابن هشام ، اختيار مجموعة من علماء الأزهر ، القاهرة مطبعة الجمالية الحديثة عام 1954 م .
6. **منهج التحليل النصي للقصيدة** . مجلة فصول . المجلد الخامس عشر العدد الثاني د. محمد حماسة عبد اللطيف عام1417هـ ـ 1996مـ.
7. **النحو الوافي** عباس حسن، طبعة دار المعارف، القاهرة ، 1982م
8. **النحو والدلالة** مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، د. محمد حماسة عبداللطيف ، طبعة دار غريب ، ط الثانية 2006م.
9. **نحو النص** اتجاه جديد في الدرس النحوي د. أحمد عفيفي مكتبة زهراء الشرق القاهرة 1422هـ ـ 2001م.